(٢٦) إ. إ. كمنجز : الغرفة الهائلة

بقلم : جيمس ب . داورتى

عندما أوشك عام ١٩١٧ أن ينقضى كان هناك شابان أمريكيان يخدمان فى وحدة إسعاف تابعة للصليب الأحمر فى القطاع الفرنسى الشمالى من الجبهة الغربية ، وقد قام البوليس المدنى بالقبض عليهما بتهمة الخيانة بعد أن اشتم أحد رقباء البريد بعض الأوصاف للروح المعنوية الهابطة التى انتشرت فى الجيش الفرنسى والتى سجلاها فى مراسلاتهما . وفى أثناء التحريات عن تهمتهما قضيا ثلاثة أشهر فى السجن فى تلال نورماندى – وكان ذلك فى معسكر للحبس الاحتياطى أقيم للأجانب والعاهرات الذين تحوم حولهم الشبهات فى منطقة القتال ! كان أحدهما – وهو وليم سليتر براون الذى كتب فى الحقيقة خطابات الاحتجاج الى أصدقائه فى أمريكا – قد حكم عليه بالسجن ؛ أما الآخر – إدوارد إستلين كمنجز فإنه لم يحرر أى خطابات ، لكنه رفض مرتين أن ينفض يديه من صديقه ، ومع ذلك أطلق سراحه وعاد إلى أمريكا .

وكان كمنجز قد أخذ معه إلى السجن الكراسات التى يسجل فيها لقطاته وملاحظاته ، وبعد أن وضعت الحرب أوزارها جعل من هذه الانطباعات كتاباً بعنوان « الغرفة الهائلة » ؛ ظل لعدة أسباب سجلاً خيالياً مهماً لذلك الزمن العنيف حين كانت الروح « الجديدة » فى

طريقها إلى الميلاد .

ولعل أحد أسباب هذه الأهمية كانت تكمن فى الحياة التى عاشها كمنجز بعد ذلك والتى رسخت مكانته على الأقل كأحد شعراء الدرجة الثانية الرئيسين الذين ينتمون إلى حركة المحدثين ؛ وقد اشتهر أساساً بسبب تجاربه وتشكيلاته المطبعية فى علم المعانى محاولاً نشر روح التكعيبية من خلال أداة اللفظ ؛ لكى يبلور تلقائية وفورية التجربة التى يستحيل وصفها . وكتاب « الغرفة الهائلة » لا يستعمل هذه الأساليب ، لكنه يشرح : لماذا شعر كمنجز بضرورتها مؤخراً فى مجال الشعر فى القرن العشرين ؟

وتعود الأهمية الكامنة فى « الغرفة الهائلة » إلى اعتبارها جزءاً من الأدب الذى بلور فترة انقشاع الوهم المعروفة جيداً والتى تلت الحرب العظمى ؛ كما تعد امتداداً حديثاً للتقاليد الأمريكية الراديكالية التى أرساها إيمرسون وثورو ووينمان ، وإرهاصاً لعالم الستينيات الذى يعد عالم ما بعد العصر الحديث .

يعرف كتاب « الغرفة الهائلة » بأنه أشهر سرد لمفهوم انقشاع الوهم . من هنا احتل مكانته بين مذكرات سيجفريد ساسون وروبرت جريفز ، والروايات الخيالية التى كتبها كل من هيمنجواى ودوس باسوس وباربوس وريمارك . واليوم لابد أن هذه الحالة النفسية التى تبعت الحرب تبدو شيئاً تاريخياً مثيراً وعجيباً . فقد كانت نتاج الإيمان العاطفى المسرف فى الإدارة الحكومية الليبرالية والشجاعة العسكرية المطلقة ، وهو إيمان غريب بالنسبة لعصرنا . ولكن أسطورة العشرينيات من هذا القرن كانت أسطورة الجيل الضائع الذى ولد قبل نهاية القرن التاسع عشر بفترة وجيزة ، والذى وجد مقدساته السياسية والاجتماعية والفلسفية تتبخر فى بوتقة الحرب . والذى قضى الفترة الأخيرة من حياته فى البحث عن عقائد جديدة .[1]

ولا يمكن القول بأن كتاب « الغرفة الهائلة » قد نظم بحيث يجعل انقشاع الوهم بالنسبة للشخصية الرئيسة حدثاً يصل بالحبكة إلى قمتها ؛ كما نجد فى « وداعاً للسلاح » لهيمنجواى ، و « ثلاثة جنود » لدوس باسوس . ومع ذلك فقد كان الاهتمام الرئيس لكمنجز يكمن فى كشف حدود الغباء والظلم والقسوة التى يمكن أن تصل إليها الحكومة فى زمن الهستيريا القومية . وعلى الرغم من أنه كان يشير من حين لآخر إلى بربرية الحرب ذاتها – فإنه يركز على الأثر الوحشى للحرب على المدنيين والسلطة المدنية . وهو يضيف إلى تجربته الخاصة فصلين على شكل حواديت هما : الفصل الخامس والسابع اللذان يوضحان جنون العظمة الذى أصاب الحكومة

الفرنسية ، وذلك بتصنيفها للذرائع التى سجن على أساسها زملاء كمنجز . كتب يقول :

« من ذلك الشخص المناسب لدخول « القلعة » ؟ إنه أى شخص تستطيع الشرطة أن تجده فى فرنسا الجميلة (ا) ذلك الذى لم يرتكب جريمة الخيانة . (ب) وذلك الذى لا يستطيع أن يثبت أنه لم يرتكب جريمة الخيانة . وأقصد بالخيانة هنا الإشارة إلى العادات التى تثير الضيق قليلاً والتى تصدر عن العمل أو الفكر المستقل ، والتى توضع فى زمن الحرب فى حفرة وتغطى تنفيذاً للفكرة الساذجة نوعاً ما والتى تقول : إنه من رمم هذه العادات التى ماتت ستنمو أزهار البنفسج ويُبهج شذاها الرجال الطيبين والحقيقيين ، وستجعل هؤلاء المواطنين الجديرين بالاحترام ينسون آلامهم ! وحتى الآن يصدر عن قلعة ليفنويرث على سبيل المثال رائحة تعد مبهجة تماماً لبعض الأمريكيين ! »[٢]

وبعد ذلك يشرح عملية إلقاء المحتجين ذوى الضمير الحى فى السجن ومضايقة أى إنسان « أصيب بلعنة موهبة التفكير فى أثناء لحظات الحرب التى مرت مؤخراً » (ص ١٣٩)[٣]

ولم يكن الانقشاع الحقيق للوهم بالنسبة لكمنجز مجرد تعرية لحقائق الحرب البشعة . إنه فقدان الإيمان بنظم وتصنيفات تعلمها من تجارب السنوات الخمس والعشرين الأولى فى حياته . وفى الحال بعد إلقاء القبض عليه يذعن للاستجواب الذى يقوم فيه ثلاثة رجال من العجائز الذين يبدو عليهم الميل إلى الشفقة ، والذين يشوهون شخصيته والحقائق المتعلقة بها بتغييرها ، لكى تناسب تصنيفاتهم . إنهم يسيئون نطق اسمه . فهم متيقنون أنه آيرلندى . وعندما يريحهم بنسج قصة عن أصله الأسكتلندى الذى ينتمى إلى السلالة الشعبية الحمراء فإنهم يسجلون أنه ينكر سلالته الآيرلندية ! وعندما يخبرهم أن أباه يعمل قسيساً تابعاً للكنيسة الوحدانية – يترددون بين « المفكر الحر » و « البروتستانتى » . وأخيراً يختارون الصفة الأخيرة . كما أنه تعلم فى مدرسة لم يسمعوا عنها إطلاقاً ألا وهى هارفارد .

فى كل هذا تكمن كوميديا من نوع غريب . لكن أثرها فى كمنجز جدير بالاعتبار . فقد انهارت معتقداته القديمة الراسخة فى وجدانه . وفى السجن وجد عالماً من الرجال الذين اعتبرتهم السلطات « محيرين أو غير قابلين للتحليل »(ص ١١٤) . رجالٍ بدون هوية عامة . ويقررون مصيرهم بناء على مظهرهم ومزاجهم ونشاطهم ، ونوعية علاقاتهم بزملائهم المسجونين الذين يقابلونهم « بأسلوب مهذب لا يخضع لأى مقياس من مقاييس الذوق أو العادة التى ترسخت من قبل »[٤]

ومن خلالهم يصل إلى فهم مباشر وشخصى لذاته . فقد منح أسماء جديدة : « جان » أو « الأمريكى » وبنى شخصية جديدة له كفنان ! .

وفى نهاية الكتاب عندما يغادر الغرفة يعلن محصلة تجربته هناك : « بالنسبة للسيد أو للسيدة المتعلمة فإن الخلق يعنى قبل أى شىء آخر التدمير ! . . . لن يكون أو لا يمكن أن يكون هناك شىء كالفن الأصيل حتى ظهور ما يسميه الفرنسيون « بالحيل الجميلة » (والتى تعلمنا على أساسها كيف نرى ونقلد على قماش الخيش وفى الحجر وبالكلمات هذا الذى يسمى بالعالم ؟) والتى اندثرت تماماً وبصورة مطلقة تحت أقدام عملية انعدام التفكير الشاملة والمؤلمة التى ربما نتجت عن هفوة عابرة من الشعور الشخصى المحض . أية هفوة عابرة يمكن أن تكون فنًّا » (ص ٣٠٧) . وباختياره القيام بدور الفنان كهوية جديدة له فإنه يصنع قراراً « حديثاً » بمعنى الكلمة يمكن مقارنته بييتس وباوند وجويس وهيمنجواى وستيفينز .

والكتاب نفسه نتاج لهذه المرحلة المعادية للتعليم ! إن « الحيل الجميلة » المتمثلة فى الفن واللغة والعلاقات الاجتماعية قيم تتردد بين عقولنا والفوضى المطبقة على الواقع ، وترسخ التصنيفات والتسلسل الهرمى الذى نستطيع من خلاله تنظيم حياتنا ، لكن هذه القيم تتقاعس أيضاً عن مواكبة فورية التجربة ومعرضة للإذعان لأساليب التحكم التى يمكن أن تتخلى عن القيم الأخلاقية بالدرجة نفسها . وقد شعر كمنجز بهذا فى كل مرحلة من مراحل سجنه . وكان استجوابه الأول قد تركز فى السؤال : « هل تكره الألمان ؟ » وكانت إجابته : « لا ، وإننى أحب الفرنسيين ! » – قد أخذت على أنها اعتراف بالذنب !

هذا الاستخدام للغة غريب من نوعه لدرجة أن كمنجز لا يستطيع إلا أن يجيب بالفرنسية فى صمت : « هذا شىء غريب ! » – إنها لنكتة ! ثم يكتشف فى الحال أى أعمال للعنف والقسوة يستطيع رجال السلطة تبريرها بإشعال الحماس تجاه القيم الشائعة الحقيقية ! إنه باسم « الحكومة الفرنسية » أو « الوطنية » يمكن أن يتهم البشر بجرائم الفكر ، ويُقبض عليهم بلا محاكمة ، ويُضربون ، ويُتركون نهباً للجوع إلى أن يشرفوا على الموت ! كما تطلق عليهم المدافع الرشاشة إذا ألحت الضرورة بذلك ! وربما كانت إحدى النكات الصارخة والتى لا تعد مضحكة على الأقل فى « الغرفة الهائلة » – هى وصف كمنجز الزاخر بالتبجيل والسخرية للحكومة الفرنسية لكى يشرح أقصى ما وصل إليه الإنسان من عبث وعنف صارخ !

وكان المعسكر نفسه حيلة لفظية ؛ إذ أطلق عليهم اسم : « باب الصفوة أو النخبة الممتازة »

بالفرنسية وهو مجرد مقر للحبس الاحتياطى يُودَعُ المشتبه فيهم فى انتظار المحاكمة المعلقة . وقد أصبح فى الواقع معسكراً للعزل والحجر نقل منه بعض المساجين إلى سجن آخر أكثر أمناً وكثيرون مما ثبتت براءتهم ظلوا فى الحبس الاحتياطى بعد المحاكمة مدداً غير محددة على الإطلاق وبعض آخر ظل محبوساً بحجة إعادة محاكمته مرة بعد مرة ! وقد أصرت سلطات « قلعة ماكيه » على أن هذا المقر ليس بسجن ! واليوم أصبح مألوفاً لدينا ما يسمى « بمعسكرات إعادة الاستيطان » و « معسكرات العمل » و « مراكز إعادة التوطين » وغيرها من المستعمرات المغلقة الخيرية !

هذا التمكن من اللغة يجعل من الصعب على كمنجز أن يبلور خطورة مامر به من تجارب ، وأن يعكسها من خلال المستوى المناسب للألفاظ والكلمات . هناك انفصال تام بين الأسلوب الذى يستخدمه أبو كمنجز فى « مقدمة الكتاب » وأسلوب الكتاب ذاته : فعندما يصف كمنجز الأب سجن ابنه فإنه يحتفظ بنغمة الغضب من أجل الحق ، وهى النغمة التى تعتبر نتاج المبادئ الليبرالية الراسخة التى تجمع بين مزيج من الأخلاق الاجتماعية المهذبة السائدة فى عصر فيكتوريا وإدوارد والغرور القومى الأمريكى . إنه يُشْهِدُ بالكتب الكلاسيكية والأناجيل ، ويستجير بالقانون الدولى والشرف القومى وحق الأمومة :. « إن أم ابنى وكل الأمهات الأمريكيات لهن الحق فى التمتع بالحماية ضد كل مصادر التوتر والأسى التى لا ضرورة لها على الإطلاق » (ص٨) وهذا ليس مجرد فرق بين الأسلوب الرسمى وغير الرسمى فى الكتابة . فلاشك أن لكمنجز الأب أسلوبه غير الرسمى أيضاً

وكتاب « الغرفة الهائلة » مزيج من مستويات أسلوبية عدة منها : المهذب والرسمى وغير الرسمى والسوقى والغنى .أما الذى افتقده فى حمية المناسبة فهو القدرة على ابتكار نغمة تعادل الموقف وفى مرحلة مبكرة لمغامرته يتبادل النكتة مع أحد الحراس متخيلاً نفسه على مقصلة الإعدام ، فيتجمد من الرعب عند سماعه الإجابة : « يجب أن أقول : إنه نادراً ما تستخدم المقصلة هنا ! » (ص٧) وليست هناك لحظة فى أثناء القبض عليه وأسره يمكن أن يتيقن فيها حقيقة الأشياء الجادة . حتى عندما يعود بذاكرته إلى الوراء فإنه يبدو غير متيقن هل كانت تجربته تلك مرحلة قضاها فى الجحيم (قارن الفصل السادس) أو زمناً كان فيه « أكثر سعادة . . . ؟ مما لا يمكن لأكثر الكلمات دقة أن تعبر عنه » (ص٣١٣)

من هنا ربما كان الأسلوب الذى استخدمه فى الوصف الشهير لصورة السيد المسيح مصلوباً

فى ضريح نورماندى على جانب الطريق التى تبدو فيها آلام المسيح « مخففة وغير مقبضة وغريبة » .

وقد أدرك أبو كمنجز أن إحساس الغضب هو الاستجابة المناسبة للظلم . لكن ابنه لم يعد متيقناً من هذا . إن أسلوب « الغرفة الهائلة » وأحداثه وقرار بطله برفض تعلم القيم الاجتماعية والفنية التى نشأ عليها . كل هذا يستعرض لنا فقدان كمنجز للثقة فى قيم الماضى الراسخة . وفى هذا الضوء يعد جزءاً من الجيل الضائع !

كتب كمنجز يقول : « فى السجن يتعلم المرء أشياء كثيرة تتعدى المليون ، وخاصة إذا كان هذا المرء أمريكيًّا من ماساتشوستس ! »(ص ١١٠) بعد ذلك بأعوام كثيرة كان كمنجز يناقش « الغرفة الهائلة » مع مراسل « للفيجارو الأدبية » وأشهد بحماس فى حديثه بكلمات أمريكى آخر من ماساتشوستس تعلم الكثير فى السجن : هنرى ديفيد ثورو[٥]. لذلك يجب أن تقيم الغرفة الهائلة » على مستوى الراديكاليين الأمريكيين من أمثال ثورو وإيمرسون ووينمان أكثر من ربطه بإنجازات الجيل الضائع .

إن روايتى « ثلاثة جنود » و « وداعاً للسلاح » تظهران الأبطال الذين يتعرضون للغباء الوظيفى ومظاهر العبث فى الحرب بحيث يتحولون من التخلص من ولائهم للواجب إلى الهروب إلى التزامات شخصية جداً تعبيراً عن اشمئزازهم : من هنا كانت دلالة الفن بالنسبة لجون أندروز والحب الرومانسى بالنسبة لفريدريك هنرى ، لكن كمنجز اتخذ موقف المعارضة والرفض دائما .

فى أول الأمر نراه وقد نفد صبره تحت سلطة السيد ا . رئيس قطاع الإسعاف المصاب بالشوفينية (الهوس الأعمى المجنون بالمجد العسكرى) ؛ ومن خلال معظم السرد نراه فى صف مضاد لمدير وحراس « قلعة ماكيه » ؛ وفى تعليق له بين قوسين قرب نهاية القصة يقدم لنا نفسه فى حمية الكتابة كالنبى الذى يدعو إلى القيم الجمالية الجديدة التى يتجاهلها « الجمهور الأمريكى الأعظم ! »[٦] فالمجتمع بالقبض عليه وبالإفراج عنه لا يستطيع سوى أن يغير اسم القوة التى يقاومها ! .

إن شكل الكتاب لا يعتمد على الخط المستقيم الذى يميز التحول الدرامى بعيداً عن البراءة ، بل يلجأ أكثر إلى الخط الدائرى : فالبطل يتورط فى موقف يتحتم عليه فيه أن يخلق لنفسه هوية من خلال المقاومة التى ينتقل منها من ثم إلى شىء جديد .

وفى كتاب ألفه بعد ذلك « اللامحاضرات الست » يطلق كمنجز على عملية التناسخ اللانهائية تلك اصطلاح « التوالد الذاتى للروح »[٧] وذلك يرجع إلى مفكر ترانسيدنتالى مبكر ومقاوم للسلطة الظالمة ألا وهو هنرى ثورو الذى يمكن أن نستشف عنده كثيراً من النماذج التى وردت فى « الغرفة الهائلة » .

إن التقاليد الأمريكية المرتبطة برسائل السجن والتى بدأها روجر وليامز[٨] وسار على نهجها مارتن لوثر كنج الابن فى « رسالته من سجن برمنجهام »[٩] – هذه التقاليد يكمن مبدؤها الرئيس فى مؤلف ثورو « العصيان المدنى » الذى يقول فيه : « إنه فى ظل الحكومة التى تودع أى أحد السجن ظلماً فإن المكان الحقيقى لأى إنسان عادل هو السجن أيضاً ! إن المكان المناسب اليوم ، المكان الوحيد الذى قدمته ماساتشوستس لأبنائها الذين هم أكثر إحساساً بالحرية وأقل شعوراً باليأس – هو سجونها ! »[١٠] .

وعندما يقوم كمنجز باستعراض الأساليب اللاإنسانية التى يمارسها السجانون والعواطف الإنسانية التى يستشعرها زملاؤه من المساجين – فإنه يعلن أنه « عندما نجد أنفسنا غير جديرين بالمساعدة فى حمل علم التقدم إلى الأمام – أى العلم الملتحف بالألوان الثلاثة – فإن الحكومة الفرنسية الممتازة التى لا يمكن تقليدها أو التشبه بها قد أسبغت على السيد ب وعلىّ – بالرغم من اختلاف القصد – صفات المديح المطلقة ! » (ص ١٦٧)[١١] .

ويطمس معالم هويته تماما فإن المحققين مع كمنجز لا يتركون له سوى شىء واحد فقط · جريمته التى تمثلت فى علاقته ببراون . ويتعلق بهذه القشة عندما يعلم بالفعل أنهم أدانوا صديقه . ويبدأ فى مناورتهم لكى يسبغوا عليه هو الآخر اللقب الشرفى « مجرم » إنه اللقب الذى يكرر إلصاقه بنفسه . وربما بنوع من الفدائية الكامنة فى ذاته . وذلك فى أثناء ترحيله إلى السجن . وكان إحساسه بالتوحد مع براون تامًّا لدرجة أنه وصف ذات مرة متاعه الثقيل الذى حمله إلى السجن بأنه « حقيبة مملوءة بالخطابات المشبوهة » (ص ٥٢) . على الرغم من أنه لم يكتب فى الواقع مثل هذه الخطابات !»[١٢] إنه يفسر هذا السلوك لأحد مسئولى السجن بقوله : « إننا رفاق » (ص ٥٨) وهو اصطلاح كان من الممكن أن يفهمه وولت ويمان . لكنه فى تلك الأيام التى سبقت ثورة أكتوبر مباشرة ربما أوحى بشىء آخر إلى ذلك المسئول .

على أية حال فإن سجن كمنجز لا يدرأ عنه الشبهة ولا يمنحه عصمة تحرم . وفى تلك الظروف التى لا يستخدم فيها مثل « الخائن » و « اللاوطنى » أو على الأقل « المارق » رمزا إلى المناداة

عليه باسم «الأمريكى» بطريقة منتظمة بدلاً من تلك الألفاظ وكلما سئل حراسه «من الذى تقومون بحراسته» كانت إجابتهم : «إنه الأمريكى !» (ص ١٠ ، ٢٨ ، ٤٦) وفى السجن كانت كل مقابلة تبدأ بهذا السؤال : «هل أنت أمريكى ؟» (ص ص ٥٧ ، ١٠٥) وسرعان ما يصبح معنى الكلمة «المتمرد» و «الفوضوى» أو «الشخص الخطير».

وعندما أطلق سراحه أخيراً نتيجة لجهود السفارة الأمريكية – تنتهى رحلته وقد ارتسم فى مخيلته ميناء نيويورك رمز الحرية . وتتردد أمريكا كرمز للحرية الشخصية فى أعماله كما ترددت من قبل فى أعمال سابقيه – ويتمان فى «أوراق العشب» و «رؤى ديمقراطية» وإيمرسون فى «الاعتماد على الذات» وثورو فى «والدن»[١٣] : أمريكا الحقيقة (الوحيدة) هى تلك البلاد التى تعثر فيها على حريتك لكى تتبع أسلوب الحياة الذى يمكنك من الاستغناء عن (الكماليات) والتى لا تسعى فيها الدولة جاهدة لكى تجبرك على الإذعان للعبودية والحرب وغيرها من النفقات الزائدة عن الحد والتى تنتج بطريقة مباشرة أو غير ذلك من استخدام هذه (الكماليات)[١٤]

إن أمريكا مثل هذه كانت بلداً على الخريطة الفكرية أكثر من وجودها على الخريطة الجغرافية ، وهو المفهوم الذى عرفه كمنجز كما عرفه إيمرسون وثورو تماماً إنه يبدأ كتابه بصورة ساخرة لقائده السيد ا . الذى يجب أن يعيد صياغة العالم على صورة أمريكا . كما أن شعره يعتبر نقداً لأمريكا الحقيقية تماماً كما كانت كتابات إيمرسون وثورو . بل يضاهيها فى تطلعه المشغوف إلى الأفضل . واليوم يجد المرء أيضاً فى ذلك التيار من الرفض المدنى الذى ينبع من الراديكالية الوطنية الأصيلة التى اشتهر بها القرن الماضى – يجد المناداة نفسها بأمريكا كرمز وكمثل أعلى لم يتحقق بعد ![١٥]

ومثل معظم الرافضين المحتجين اليوم فقد وجد كمنجز فى السجن نوعاً من التطهير والشفاء من السذاجة : فعندما دخل الزنزانة لأول مرة نجده يسجل قوله : «لقد أصبحتْ نفسى ! وقد غمرنى فرح لا يقاوم بعد ثلاثة أشهر من الإذلال الذى تمثل فى الرؤساء وقادة القطيع والفتوات والإهانات التى لا تنقطع ! لقد عدت إلى ذاتى وأصبحت سيد نفسى !» (ص ٢٣) إنه مثل التطهير الذى وجده ثورو فى سجن كونكورد أو حتى بطريقة أوضح فى الكوخ عند بركة والدن . وبالنسبة لكل إنسان فإن السمو الأخلاقى يصدر عن كل من عملية الانفصال عن الناس ومن العلاقات الجديدة التى تضىء الطريق أمامه ؛ كما نجد فى البسطاء الذين يسميهم

كمنجز «جبال البهجة المنطلقة» ، أو فى «المتوحشين النبلاء» عند ثورو الذين يمثلهم قاطع الأخشاب الكندى ذو الأصل الفرنسى .[١٦]

ولعل إحدى ثمار هذه العزلة التطهيرية تتمثل فى طهارة العين واللسان . وبزمن طويل قبل الجيل الضائع سبق ثورو كمنجز فى التنبؤ بانقشاع الوهم وبرغبته فى التخلص من «الحيل اللطيفة الجميلة» التى تشكل تقاليد الإدراك الفنى :

«لقد عشت حوالى ثلاثين عاماً على ظهر هذا الكوكب ، ومازلت فى انتظار سماع أول مقطع من الحكمة القيمة أو حتى المخلصة من فم الكبار . إنهم لم يخبرونى بأى شىء ومن المحتمل أنهم لن يستطيعوا أن يخبرونى به ! »[١٧]

«إننى أدرك أننا نعيش هذه الحياة الوضيعة . لأن رؤيتنا لاتتغلغل مخترقة سطح الأشياء . فنعتقد أن كل مايوجد هو كل ما يبدو لنا فقط . . . . انظره إلى أى مكان للاجتماعات ، أو دار للقضاء أو سجن أو محل أو قصر للسكن ثم قل ما الشىء الحقيقى الذى يبدو أمام النظرة الفاحصة ؟ ستتساقط كلها . وتتحول إلى هشيم من مجرد الكلام عنها ! »[١٨]

إن أسلوب كمنجز الشعرى كنتاج لرفضه الإذعان لعملية التلقين التى مر بها فى السجن وبعد السجن ، هذا الأسلوب أدى إلى تحطيم الأشياء وتحويلها إلى شذرات متناثرة ! وبسبب المناداة بالتطهير الذاتى من خلال مقاومة تآمر المجتمع ضد الكرامة الفردية فإن «الغرفة الهائلة» يعد جزءاً من تقاليد الفكر الأمريكى الراديكالى . إنه «والدن» القرن العشرين .

إنه بالفعل «والدن» الذى كتب للقرن العشرين ، لكن المؤامرة الآن أفظع ، إنها الآلة الرهيبة التى فى كل مكان ، ومجتمع الأغلبية الذى لا يستطيع أحد الهروب منه ؛ كما فعل ثورو من قبل من خلال هروبه الجسدى واتحاده مع الطبيعة فليس هناك مكان يمكن الذهاب إليه ، لا يستطيع أحد بصفة عامة الهرب من «الغرفة الهائلة» أو حتى مجرد أن يفكر فى الهرب ! إن الطبيعة أصبحت معادية ، ففصلها هو الخريف الذى يذوى بعيداً عن ذكريات كمنجز الزاخرة بالحنين للصيف الذى يبسط سلطانه والمهرجانات العامة بين رفاقه الفرنسيين خارج البيوت . (ص ص ١٧٤ ، ١٧٥ ، ٢٩٧) ، إنها حالة منعزلة من الانهيار النفسى الذى يواكب أول سقوط للجليد (ص ٣١٧ والصفحات التالية)[١٩] . هذا الاختراع الأمريكى المسمى بمجتمع الأغلبية أو الكتلة الجماهيرية هو العدو المشترك لثورو وكمنجز ، لكن ثورو لا يقابله بالصمت والفردية المنعزلة ، بل بصوت وعالم متشابك من العلاقات الشخصية : فى الكتابين ينهض

السرد على المقالات ، لكن إذا كانت مقالات ثورو تدور حول أسرار « بركة والدن » – فإن لقطات كمنجز تصور لنا الرجال الذين عرفهم فى السجن .

هناك الغجر والزنوج واليهود والفلاحون البولنديون والبحارة الهولنديون والحرفيون البلجيكيون والروس والأتراك والنمساويون والاشتراكيون والفوضويون والمجانين والقوموسيونجية والموسيقيون والمليونيرات ! وكان الشيء الوحيد الذى يشترك فيه كل هؤلاء أنهم غير فرنسيين ، لكن فى القشلاقات التى حشدوا فيها لم تكن هنا أية مساحة للانعزال أو الوحدة . فقد امتلأت « الغرفة » بالأحاديث التى لا نهاية لها ، والتى جرفت فى طريقها كل الفوارق ، وأحالت كل من فيها إلى مجرد اسم جديد مرتبط بشخصيته – فقد أطلق على كمنجز اسم « الأمريكى » وعرف الآخرون بأسماء مثل « الهائم » و « مصلح الآلة » و غاريبالدى . . . وهكذا !

وليس حجم « الغرفة » هو الذى يجعلها هائلة ، فهى لا تزيد عن اثنى عشر متراً فى أربعة وعشرين متراً ، لكنه التقارب بين الأجساد والأصوات . لقد دخلها كمنجز لأول مرة فى الليل وفى الظلام الساكن.لم يستطع تقدير حجمها . وعند رحيل الحراس « ارتفع هناك بحر من أكثر الأصوات نشازاً وتلاطماً . . . . هنا أصبحت الغرفة الخالية الضيقة فجأة هائلة بفعل صرخات الشياطين والقسم بأغلظ الأيمان والضحك الذى وسع بين جدرانها وخلفيتها ، وامتد بها إلى كل عمق وإلى كل اتساع يمكن إدراكها ،وكثف فى الوقت نفسه الإحساس بضيقها المرعب ! ومن كل الاتجاهات صدر ثلاثون صوتاً على الأقل فى إحدى عشرة لغة » (ص ٦٠) وبعد ذلك سُمع ثمانون صوتاً تقريباً فى تلك الزنزانة . وفى طريقه إلى القلعة دائماً ما كان يحبس بمفرده . وفى عزلته الانفرادية كان يقول : « لقد عدتُ إلى ذاتى وأصبحتُ سيد نفسى ! » لكن يتحتم عليه الآن أن يدرك علاقة ذاته بكتلة البشر الآدميين .[٢٠] وبعد ذلك بفترة طويلة قال كمنجز عن حياته كشاعر : إن « الشعر هو الوجود وليس الفعل ! وإذا رغبت فى أن تتبع نداء الشاعر فعليك أن تخرج نفسك من عالم الفعل المحدود إلى مجال الوجود غير المحدود »[٢١] هذا « المجال غير المحدود للوجود » هو « الغرفة الهائلة » نفسها حيث لا توجد الحرية فى فراغ ، بل فى حدود يرسمها الاتصال الضرورى بالرجال الآخرين . هذه ليست وجهة نظر أمريكية أرثوذكسية ؛ إذ إن الأمريكيين يميلون إلى الاعتقاد فى أن الحرية نوع من عدم الارتباط والطهر

الروحى . وتؤكد تجربة كمنجز عدم ارتباط الإنسان بالدولة ، وليس عدم ارتباطه بأخيه الإنسان !

وفى كتابه عن أمريكا « الإنسان فى مواجهة مجتمع الأغلبية » يحث جابرييل مارسيل هؤلاء الذين يرغبون فى الاستمرار فى الحياة كبشر آدميين فى مجتمع الأغلبية أن يخلقوا دائرة صغيرة من الأصدقاء الحميمين الذين يستطيع المرء أن يعمل وأن يعيش معهم بإحساس بالواقع الشخصى [٢٢] وخارج حدود هذه الدائرة يستطيع المرء فقط أن يقاوم محاولات إهدار إنسانيته . ولا توجد السياسة التى يمكن أن تجعل المرء يلتقى فى منتصف الطريق ومجتمع الأغلبية ، ولذلك يبدو سجن كمنجز عالماً من العلاقات الشخصية ومحاطاً بالجهاز غير الإنسانى للدولة ولا يوجد ما يرأب الصدع بينهما ، ولا أحد يستطيع هذا ؛ لأن الغرفة تحتوى تماماً على هؤلاء الناس الذين لا تستطيع أمة حشدت نفسها للحرب أن تتسامح معهم : إنهم القذارة الإنسانية التى تعوق سير الآلة وتفسد نظامها . وبالطبع فهم لا يقيمون حكومة تحت الأرض ، إنهم البشر الذين يتسببون فى الحيرة والاضطراب والفوضى ، فهم يتضافرون فقط من أجل أغراض محددة فجائية مثل تهريب جردل مياه إلى الداخل ، وتعذيب حارس ، وغزو قشلاقات النساء . وفيما عدا هذا هناك رجال يواجه بعضهم بعضاً كأفراد فرضت عليهم علاقات معينة ويترددون بين الكراهية التى يشعرون بها جميعاً تجاه المخبرين والحماس المسرف فى العاطفة الذى يرفضه كمنجز من أجل جان الزنجى !

ومنذ لحظة وصوله يطغى على كمنجز إحساس حاد تجاه الأسلوب الذى يستجيب به المساجين تجاه أكثر الأحداث تفاهة : فأية حركة فى « الغرفة » فى أثناء الليل تتسبب فى عاصفة من السباب ؛ فى حين يتصارع أربعة رجال من أجل الفوز بامتياز ترتيب سرير سفرى وصل حديثاً ؛ هذا على حين يحول نداء العشاء كل واحد إلى حيوان لم يعرف فى حياته سوى العبودية ! وربما كان هذا الحشد المبالغ فيه أنتج أثرين متناقضين ؛ وعلى الرغم من أن المساجين طوروا نظاماً خاصًّا بهم لحياتهم الاجتماعية المهذبة والمقاومة السلبية لإنهاء حالة الحرب ، بل كانوا متقاربين ومتلاصقين بحيث لا يمكن أن يسمحوا بصراع طويل – فإن عددهم نفسه جعل « الغرفة » تموج بصخب مستمر من النكات العملية ، والاستفزازات ، والسرقات ، والمباريات ، ومحاولات خداع الحراس ! وفى مجتمع « الغرفة » القبلى لا مجال لرفض الاشتراك فى هذه الدوامة .

وكان هناك مناخ من الهستيريا الرتيبة التى سرعان ما تطغى على الرجال ، وخاصة الرجال من أمثال كمنجز الذى تعود الاستجابة للآخرين بقدر محدود يحكم درجات اندماجه معهم أو انفصاله عنهم ؛ وهو ماتشربه من التقاليد الأمريكية قبل نهاية القرن الماضى . تلك هى الافتراضات الثقافية الكامنة وراء « الحيل الجميلة » التى يسعى إلى رفضها كنتيجة لسجنه .

ومعظم الرجال فى « الغرفة » أميون بمعنى الكلمة (ص ١١٦).والصوت هو وسيلتهم الأولى للاتصال بالآخرين ؛ فليس لديهم شىء يفعلونه سوى الثرثرة التى لا تنتهى حول أى شىء ؛ فهم يتأملون ويبالغون ويكذبون . لايهمهم تجاوز حدودهم طالما أن هناك تياراً من الكلمات لا تتوقف دورته ! وعلى سبيل مقاومة حراسهم فإنهم يصيحون ويسبون ويلعنون ويأتون بأصوات كضجيج الحيوانات ! والإلمام بالقراءة والكتابة شىء غير ذى موضوع ؛ فليس هناك أحد تضيع جهوده عبثاً أكثر من الرجال الذى يقضون أيامهم فى كتابة طلبات الالتماس لحكوماتهم . وعندما يمسك أبطال كمنجز بكتاب للصلاة أو بجريدة مقلوبة رأساً على عقب متظاهرين بالقراءة (ص ص ٢٥٧ ، ٢٧١) – فإن النكتة تنبع من الكتاب وليس من الأبطال الذين تبدو حيويتهم وقوة تحملهم نتيجة لأميتهم .

ولعل قدرة كمنجز على القراءة والكتابة ترعرعت نتيجة لذلك تحت سقف« الغرفة »، وعندما استطاع الاحتفاظ ببعض الكتب – فإنه وجد أن « قراءة شكسبير لا تتمشى مع عقلى المضطرب » (ص ٣٢٣).هذا الاضطراب نوع من الأمية التى قد لاتتساوى فى المستوى والوعى والآخرون ، ويمكن قياس استمرارية هذا التشويش عند كمنجز بخليط الأساليب التى تحتويها « الغرفة الهائلة »،وبرفض قصائده الشائع لاتخاذ منظور محدد يتظاهر بأن الأحاسيس تحدث فى نظام تتابع بحيث يأتى الإحساس بعد سابقه وهكذا ، وبميله إلى معالجة اللغة كنوع من السحر الذى عرفته القبائل .

وعندما تتحول الثقافة إلى مجرد صوت فإن الفن يفقد خصوصيته التى تجعل منه قيمة أعلى فى نظر « الجيل الضائع » ويصير معتمداً على الاحتياجات الشخصية المتداخلة .

ويؤكد كمنجز أن أبطاله الأميين لا يتصلون بعضهم ببعض من خلال الصوت فقط ، بل أيضاً من خلال الحركة والتعبير الجسدى . وربما كان هذا مسئولاً عن وجود تلك الصور الحسية الملموسة والدوافع المثيرة لشتى الأحاسيس المنتشرة فى هذا الكتاب .

يتكلم كمنجز عن الأصدقاء « الذين أراهم وأسمعهم وأشمهم وألمسهم وأكاد أتذوقهم ،

وهم الذين لا أعرفهم فى الوقت نفسه ! » (ص ٢٥٥) ؛ ولأنه يصفهم فى صور حسية وحركية ملموسة – فإن سرده يزخر بالدوافع المثيرة لشتى الأحاسيس بحيث يعيد تشكيلها داخل القارئ : فهناك « الأجسام ذات الرائحة الكريهة الجاثمة » ، و« العيون الثاقبة الحادة » ، و«والأصوات الخشنة الملتوية » ، و«وأكوام الملابس التى تعلن عن تعفنها بصوت عال ! » من أجل هؤلاء الرجال فإن الجسم كله يتكلم وينطق !

وبالطبع فإن « الغرفة » تحتوى على أجسام لا يمكن أن تنسى أبداً : فإن المناداة على الوجبتين اليوميتين اللتين تتكونان من الخبز والحساء تحيل الرجال إلى « رغبة من الفوضى المتوحدة ، وضجيج فصيح ومتعدد يعبر عن الحيوية اللا إنسانية . . . وشعرت بأن آخر العلامات الدالة على الفردية على وشك أن تختفى تماما ، وأن تنمحى كلية فى نبض قافز كاسح » (ص ص ٩٠ – ٩١) .

وإذا كانت السجون هى الأماكن التى تضع فيها المجتمعات قاذوراتها فإن الاحتفاظ بالسجون نظيفة من شأنه أن يكون عملاً لا مبرر له ومتناقضاً مع نفسه ! إن الإحساس الطاغى على « الغرفة الهائلة » يكمن فى تكتل الأجسام القذرة وتراكم فضلات الجسم مثل الشعر والبصاق والبول وغير ذلك من الإفرازات . وقد قضى كمنجز ليلته الأولى فى « الغرفة » نائماً فى المنطقة التى فيها حفرة المرحاض ! وفى الأسابيع التالية أصبحت خشونته المتزايدة وساماً دالا على هويته وسط هؤلاء الرجال الذين وصمتهم المحاكم بأنهم القذارة التى فى تروس جهاز الدولة ، والتى يجب أن تطهر منها المعابد الطاهرة التابعة « للحكومة الفرنسية ! » .

وقد بدأ كمنجز فى عملية رجوع منحدر أدت به إلى حب الناس جميعا : « لقد سمحت لنفسى بالانغماس فى رفاهية كاملة من القذارة ! وعندما أصبحت أقذر من المعتاد فإننى بهذا كنت أحتج ضد كل ما هو نظيف وأنيق ومتعصب ورزين ومؤسس على عذاب أصدقائى الطيبين ! » (ص ص ٣٢٣ – ٣٢٤) .

وإذا كانت « الغرفة » نموذجا مصغراً للعالم كما أشار كمنجز فى مقدمته (ص ٧) – فإنها تصبح نموذجاً مقلقاً للعقل الليبرالى ؛ لأنها تقدم مفهوماً غريباً ومستحدثاً للحرية ، وترفض كثيراً من رموز النمو الثقافى والنفسى .

وكانت آثار هذا النموذج على كمنجز خلاقة ومدمرة فى الوقت نفسه : لقد منحته بالفعل أساساً جديداً وأصيلاً لفنه ، لكن ضغوط « الغرفة » عليه كانت فى النهاية حادة أكثر من

اللازم بالنسبة له . وعندما حصل على خلاصة منها كان على وشك الموت النفسى والروحى !

بدأ انهياره عندما قدمت لجنة تحقيق قضائية لاستجواب المعتقلين وتقنين قضاياهم . ومن وجهة النظر الشخصية لأعضاء « الفرقة » فإن الأحكام القضائية للجنة التحقيق بدت عشوائية تماماً : فقد أدانت بالتساوى كلاً من المتهور المتوحش ، والمصاب بجنون القلق ، والبسيط اللطيف ، والمهذب الرقيق ، والشجاع المقدام !

ويتكرر فقدان التناسق نفسه بين هؤلاء الذين يحكم ببراءتهم وأولئك الذين يوضعون تحت التحفظ لإعادة التحقيق معهم ! وقد حكمت لجنة التحقيق على براون بالسجن ، لكنها لا تصل إلى أى قرار بخصوص كمنجز ! وبالتمييز أو التفريق بينهما هكذا فإن لجنة التحقيق تكمل طمس معالم هوية كمنجز وهى العملية التى بدأت منذ أول يوم ألقى القبض فيه عليه،فعندما سُلب اسمه وعائلته ودينه وطبقته الاجتماعية فقد اختار حينئذ أن يصبح « صديقاً لبراون » ، ومن ثم أصبح « مجرماً » . وتقرر لجنة التحقيق أنه ليس بمجرم وبذلك تقضى على علاقته الحميمة ببراون التى لجأ إليها فى أثناء الشهور التى قضاها فى السجن (٢٣).

وعملية التحقيق نفسها أو الاستجواب نفسه بكل ما تحمله من معايير المنطق السديد ، وافتقارها إلى مبدأ الأخذ والرد ، وجنونها بما تعتقد أنه وقائع أو أدلة – كل هذا بعثر كل مظاهر المنطق المعقول الذى ارتبط بأحاديث « الغرفة » .

ويصف كمنجز رجلاً آخر خلص لتوه من الاستجواب فيقول : إنه « بدا كما لو كان قد تعرض لنوبات متعددة وشديدة فى ساقه الخشبية التى يطأ بها دون أن تكون قد شفيت تماماً » (ص ٢٩٦) ؛ ومن ثم فإن الرعشة والإجهاد يزحفان على كمنجز (ص ٣٠٠) . كتب يقول : « إن حكم الرجال الحكماء الثلاثة . . . كاد يطرحنى أرضاً . . وعندما غادرت المكان فى النهاية – كان هناك جزء من جسمى يسميه الناس « العقل » مازال فى حالة انهيار خفيف إذا لم يكن قد أصيب بالتواء كامل ! » (ص ٣١٤) .

وبالطبع فقد تبقى لديه دوره كفنان . لكن بمجرد أن الالتزامات الشخصية التى ينهض عليها الفن قد اهتزت برجيل براون فإن الفن وحده لم يعد بعدُ الملاجأ الذى يلوذ به . وكان قد لاحظ من قبل أن زملاءه المساجين لا يستطيعون القراءة أو الرسم (ص ١١٦) . وعندما غرق فى القبلة الأمية التى تميز « الغرفة » فإن هويته الفنية تتلاشى أيضاً . إنه يرقد على سريره لا يرى شيئاً . أو يسير سيراً آلياً فى فناء السجن : « ذات مرة كنت أجلس بمفردى على لوح

طويل من الحديد الصامت ، وفجأة مررت بتجربة الموت الفريدة الكاملة التدريجية » (ص ٣٠٨) . وفى نهاية موسم التحلل هذا بدأ الجليد فى التساقط ، « فرقدت مغلقاً عينى ، شاعراً بلمسة الجليد الدقيقة المتصلبة تتساقط برقة وحنو ، ثم تتساقط فجأة بكل ثقلها خلال خريف خيالى الكثيف الصامت ! » (ص ٣١٧) .

وعندئذ تبزغ شمس الخلاص فجأة على حافة الموت النفسى . لقد افتعل جهاز الدولة براءته بأسلوب غير مفهوم لإطلاق سراحه . كان ذلك فى الحادى والعشرين من ديسمبر – أى فى بداية الشتاء – عندما بدأت أشعة الشمس فى العودة . وفى سبع صفحات مشوشة مضطربة تعود إليه هويته ووضعه الاجتماعى . فقد أعيد إليه اسمه الذى لم يستخدمه منذ القبض عليه ؛ ومنح جواز سفر ، وأخرج من هيئة موظفى الإسعاف ، وأخلى البوليس الفرنسى سبيله ، وتم شحنه عبر الأطلنطى . لقد تغير كل شىء ؛ وكان وداعه للذين فى « الغرفة » وداعاً لأناس لا يكاد يعرفهم ! واعترف للمسئول الأمريكى الذى جاء بخصوصه أن خطابات براون كانت « حمقاء بعض الشىء » ، وأصبح خجولاً من قذارة السجن ومحرجاً بسبب ملابسه القذرة ، وحساساً باحتمال أنه سيسافر بالدرجة الأولى أو الثانية أو الثالثة ، وأخيراًبدأ فى الشعور بذاته وهى تجربة كادت تكون مستحيلة فى « الغرفة الهائلة » . لكنه لا يستطيع استعادة هويته تماماً كما كانت قبل القبض عليه ! والكتاب نفسه يؤكد الأثر العميق لتجربة الأسر عليه .

وفى الفقرة الأخيرة يصف أول رؤية له لخط الأفق عند مانهاتن عندما يرسو على الشاطئ فى الأول من يناير . أى فى اليوم الأول من السنة الجديدة :

« اشرأبت المدينة بكتفيها – طويلة ، طويلة بطريقة مستحيلة ، طويلة بطريقة لا تقارن وسط ضياء الشمس الساطع الذى انحنى قليلاً عبر زوايا حوافيها المتوازية ، ثم انطلق منحنياً إلى أعلى مشكلاً ضوءاً حادًّا صلباً ثلجيًّا ، فى حين امتزجت ضجة أمريكا تقريباً بالدخان والنقط المسرعة التى تمثلت فى الرجال والنساء والأشياء الجديدة والمثيرة والمحددة والغريبة والمقلقة والضخمة ، ثم ارتفع ضياء الشمس فى انطلاقة هائلة حازمة متحولاً إلى نور خالد . (ص ص ٣٣١ – ٣٣٢) .

وككاتب ينتمى إلى الجيل الضائع – يعيد تأكيد التزامه بالفن من خلال وصفه الزاخر بالحيوية : فبالنسبة للراديكالى الأمريكى خليفة ثورو يرمز خط الأفق إلى حياة الحرية الشخصية والاعتماد على الذات ، والتى من أجلها ذهب إلى السجن . إنها المدينة النورانية المقدسة إذا ما

أردنا تكملة الصورة النمطية التى اقتبسها من رواية « رحلة الحاج » . وكنبوءة عن مجتمع الجماهير الحديث أو ما بعد الحديث – فإن هذا يعد بمثابة رؤيا لغرفة هائلة أخرى ليس منها هروب أو مفر إنها آلة ضخمة مملوءة « بالنقط المسرعة التى تمثلت فى الرجال والنساء » ، ومن داخل هذه الحدود كتب عليه أن يستمر فى خلق العلاقات التى تشكل هويته الخاصة به فقط .

ملاحظات

١ – عولج الكتاب على هذا النحو فى كل من دراسة ف . ج . هوفمان : « العشرينيات : الأدب الأمريكى فى عقد ما بعد الحرب » (نيويورك : ١٩٥٥) ، ودراسة جون آلدريدج : « ما بعد الجيل الضائع » (نيوريوك : ١٩٥٨) ؛ ودراسة مارلين جول : « اللغة والهوية : إ . إ كمنجز فى « الغرفة الهائلة » ، « المجلة الأمريكية الفصلية » ، المجلد التاسع عشر (شتاء ١٩٦٧) ، ٦٤٥ – ٦٦٢ ؛ ودراسة ستانلى كوبرمان : « الحرب العالمية الأولى والرواية الأمريكية (بالتيمور ، ١٩٦٧) .

٢ – « الغرفة الهائلة » (نيويورك : ١٩٣٤) ، ص ص ١١٥ – ١١٦ .

(والإشارات التالية ستذكر فى صميم النص) . وهناك لمحة ساخرة أخرى لا تنأى كثيراً عن الكتاب طالما أن أبا كمنجز أشار إليها (ص ١٧) ، وتتمثل فى أن التأخير فى البت فى قضية كمنجز ربما كان مرجعه إلى الاضطراب الذى حدث فى وزارة الداخلية نتيجة لطرد الوزير م . لويس جان مالفى الذى اتهم هو نفسه بالخيانة !

٣ – انظر قصيدة « إنى أتغنى بأولاف السعيد الهائل » فى المجلد الثلاثين من الأعمال الكاملة (الأشعار ١٩٢٣ – ١٩٥٤) (نيويورك : ١٩٥٤) ص ص ٢٤٤ – ٢٤٥ . وكان حوالى أربعمائة وخمسين أمريكيا من المعارضين الأشداء للحرب والذين رفضوا حتى الخدمة فى الخطوط الخلفية – قد سجنوا فى أثناء الحرب العالمية الأولى .

٤ – هوفمان ، ص ٨٥ .

٥ – ماريو مورين : « إ . إ كمنجز هذا الشاعر الكريه ، نحن نتكلم عنه كما نتكلم تماماً عن أبولونير عندنا » (الفيجارو الأدبية) المجلد الثالث عشر (٥ يوليو ١٩٥٨) ص ١٢ .

٦ – كانت مقدمته التى كتبها تعليقاً على « الحيل اللطيفة » كالآتى :

« إذا كنت . . أنا فى هذه اللحظة وفى مدينة نيوريوك – أملك واحدًا على عشرين من الثقة التى يمتلكها بشر كثيرون آخرون – فإننى يجب ألا أميل إلى اعتبار (الجمهور الأمريكى العظيم) كأكثر التنظيمات الاجتماعية عجزاً فى تذوق الجمال ، بل لم يخلق مثله من أجل المحافظة على الأفكار والمثل التى ماتت واندثرت ! لكن بالطبع فإن الجمهور الأمريكى العظيم كان ضحية لقيد لم يكن ليعوق أصدقائى فى القلعة ،

كقاعدة ثابتة ، وأقصد بهذا القيد : التعليم » . ص ص ٣٠٦ –٣٠٧ .

٧ – كمبردج ، ١٩٥٣ ، الفصل الثالث .

٨ – « خطاب إلى جون كوتن من بلايموث ، ٢٥ مارس ١٦٧١ » « روجر وليامز : إضافته إلى التقاليد الأمريكية» حققه بيرى ميللر (نيويورك : ١٩٦٥) ص ص ٢٣٧ – ٢٤٠ . إنه خطاب من المنفى أكثر منه خطاباً من السجن .

٩ – « لماذا لا نستطيع الانتظار » ؟ (نيويورك : ١٩٦٤) ص ص ٧٧ – ١٠٠ .

١٠ – بوسطن ، ١٩٦٠ ، ص ٢٤٥ .

١١ – بطول الكتاب احتفظ كمنجز بالكتابة بحرف (ب) عن اسم براون ، لكنه نسى هذه القاعدة مرة واحدة كشف فيها عن اسمه (ص ص ٣٠٨ – ٣٠٩) وعلى الرغم من الأهمية الحتمية لبراون كشخصية فإنه ظل بلا اسم وبلا وجه ! انظر الملاحظة رقم ٢٣ .

١٢ – إن العبء الباهظ الذى حمله كمنجز على كاهله إلى السجن ، والذى تركه هناك وعاد خفيفاً – هذا العبء يتفاعل هو والصورة النمطية التى اقتبسها من رواية « رحلة الحاج » مثل صورة فاقد الأمل الذى يجسد اليأس ذاته ، وصورة أبوليون ، وصورة الجبال المثيرة للنشوة وهكذا ، ويشترك كمنجز وثورو فى تلك الموهبة الأسطورية التى تحيل الواقع إلى رمز ! لاحظ بعد ذلك تواريخ إطلاق سراحه من السجن ووصوله إلى أمريكا .

١٣ – فى « إيمى » (نيويورك : ١٩٥٨) ص ص ٤٧ – ٤٨ ، ١٨١ ، ٢٦٢ ، ٣٧٦ ؛ و«وهل هناك شىء ما خطأ ؟ » فى ندوة « الحرب والشعراء » نشرها أوسكار وليامز فى « مجلة هاربر » المجلد ١٩٠ (أبريل ١٩٤٥) ص ص ٤٦٤ – ٤٦٥ . انظر بول روزنفيلد : « كمنجز الهائل » فى « مرتين كل عام » ٣ – ٤ (١٩٣٩) ص ٢٧٦ من أجل مناقشة هذا الرمز . مثل هذه الأشعار « كم أشتاق أن أكون فى فنلندا » (أشعار ١٩٢٣ – ١٩٥٤) ص . ٤٥٢ ، و« صلاة الشكر (١٩٥٦) تبلور هذا التوحد الرمزى مع أمريكا والحرية بانتقاد الولايات المتحدة لعدم إسراعها لنجدة فنلندا فى عام ١٩٤٠ والمجر فى عام ١٩٥٦ .

١٤ – ص ١٤١ (الفصل العاشر ، « مزرعة بيكر ») .

١٥ – على سبيل المثال كلمة دكتور كنج التى قال فيها : « إن الحرية هى هدف أمريكا ؛ ربما كنا واقعين تحت وطأة الإفساد أو الاحتقار ، لكن مصيرنا ارتبط بمصير أمريكا » (خطاب من سجن برمنجهام » ص ٩٧) ؛ أو تأملات جيمس بولدوين فى العلاقة بين كونه حرًّا وكونه أمريكيًّا فى مقالة « اكتشاف معنى أن تكون أمريكيًّا » فى كتابه « لا أحد يعرف اسمى » (نيويورك : ١٩٦١) ص ٩ .

١٦ – ص ص ٩٩ – ١٠٤ (الفصل السادس ، « الزوار ») . هذه الاتصالات والعلاقات تعنى لكمنجز أكثر مما تعنيه لثورو .

١٧ – ص ٥ (الفصل الأول ، « الاقتصاد ») .

١٨ – ص ٦٦ (الفصل الثانى ، « حيثما عشت ، وما عشت لأجله ») .

١٩ – إن « الكون الصالح » الذى يقودنا إليه يثير فى نفوسنا « الرثاء لهذا الجنس البشرى الذى لم يرتق بعد فوق مرتبة الوحش ! » ، المجلد الرابع عشر (الأشعار ١٩٢٣ – ١٩٥٤ ، ص ٣٩٧) . وقيمة كمنجز بالنسبة لعصرنا تكمن فى إيحائه بأن « جنة الصالحين » ليست بعيدة سواءً فى الزمان أو المكان ، لكن الحصول عليها سهل لكل هؤلاء الذين يربطون مصيرهم بالحب .

٢٠ – « لقد انتهى كل شىء بالنسبة لى ولك » ، « إننى سعيد بهذا مثلك تماماً » (الأشعار ١٩٢٣ – ١٩٥٤ ، ص ٣٨٦) .

٢١ – الفصل الأول من « اللامحاضرات الست » ص ٢٤ .

٢٢ – شيكاغو ١٩٥٢ . إننى مدين أيضاً لتيرى إيجلتون فى مقالته « السياسة والمقدسات » ، مجلة « كومنويل » ، المجلد ٨٧ (٢٩ ديسمبر ١٩٦٧) ص ص ٤٠٢ – ٤٠٦ . إن مناقشة السيد إيجلتون للفساد السياسى الاجتماعى على أية حال قد اتجهت صوب احتمال قيام العدالة واستيعاب المنبوذين سواء كانوا بريطانيين أوكاثوليكاً أو ماركسيين . إن إيجلتون هو القطب المضاد لفوضوية كمنجز .

٢٣ – من أخطر ثغرات الضعف فى « الغرفة الهائلة » إذا اعتبرناها « رواية » فشل كمنجز فى تطوير براون كشخصية يمكن التعرف عليها . إن وجوده يقتصر فقط على القيام بدور الدافع أو المحرك لشخصية الراوى . ولم يشر إليه ككيان مستقل بذاته لسوى استخدام التعبيرات التى تجمعهما معاً مثل « ب وأنا » .